أمثلة من الترجمة

Matthias Brandt
Raumpatrouille

Kiepenheuer & Witsch Verlag, Köln 2016
ISBN 978-3-462-04567-3

صفحات 119-132 & 163-172

ماتياس براندت
"دورية استطلاع في الغرفة"

ترجمة هالة غنيم

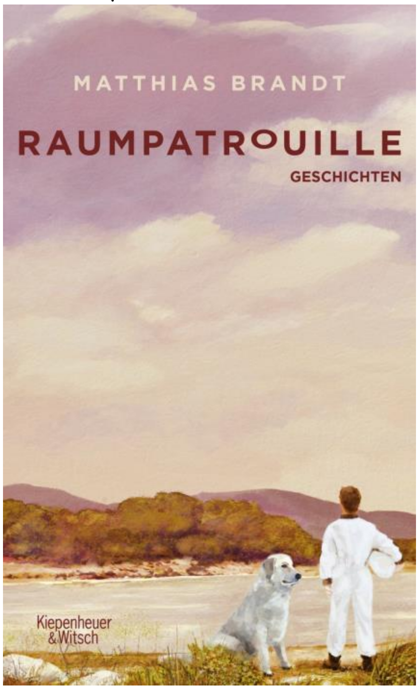

© 2017 Litrix.de

أزرق وأصفر وأبيض

أطفأت مصباح السقف وأغلقت الستائر لكي تزداد عتمة الغرفة. كان قد تبين لي من أحاديث الكبار التي كنت أتصنت إليها أن عيد ميلاد أمي على وشك الحلول، إذ كانوا يتشاورون حول أسلوب الاحتفال به. أما أنا فعقدت النية على أن افاجئها بشئ يخطف الأنفاس. أخذت أفكر في نوعية العرض الذي يجب عليّ أن أقدمه لأفتح أخيرًا عيون الكبار، ليدركوا ما لم يعرفوه عني بعد، ألا وهو وجود فنان قدير يعيش معهم تحت سقفٍ واحد. وتخيلت أفواههم مفتوحة من فرط الذهول. لابد أن يشعروا بالخجل لعدم تقدير قيمتي الفنية حتى تلك اللحظة. عليّ أن أقوم بالتخطيط والتجهيز لانتصاري مليًا.

جمعت كل ما أحتاج إليه خلال فترة بعد الظهيرة، قبعة الوالد، وعقد من اللؤلؤ وبعض الخواتم التي اختلستها من علبة الجواهر الخاصة بأمي ووضعتها في جيب بنطالي، لأهربها إلى غرفتي وأتزين بها.

كنت قد حصلت بمناسبة عيد الميلاد المجيد على صندوق سحري مخطوط على غطائه باللون الأحمر وبحروف كبيرة عبارة "ملك السحر"، على شكل نصف دائرة، وصُور تحتها بروفيل رجل ذي شارب على رأسه قبعة أسطوانية سوداء، ينظر إليك من فوق كتفه الأيسر. ها هو الصندوق مفتوحًا أمامي، يتضمن أدوات تكفي لأداء "أكثر من خمسين حيلة سحرية" ، حسبما قرأت في كتيب الإرشادات الذي أخذت اتصفحه لأول مرة دون أن يستهويني جزء معين. كنت على قدر من الكسل وانعدام الصبر لم يتح لي أن اقرأه بجدية حتى ذلك اليوم، فاكتفيت بالارتجال بأدوات السحر، وهو ما لم يؤد إلى نتيجة تُذكر. قمت مثلًا يومًا بدس بعض أوراق اللعب المغشوشة ضمن أوراق اللعب في غرفة المعيشة، ظنًا مني أن يكون ذلك في صالحي عند اللعب. ولكنهم سرعان ما اكتشفوا محاولتي بسبب لون الخلفية المختلف لأوراق اللعب؛ وهو ما أشعرني بالخزي وأفقدني الحماسة تجاه الصندوق السحري، الذي ظل بعد ذلك مهملًا في ركن الدولاب.

أما ما كنت أخطط له الآن، فكان خارج نطاق هذه الممارسات الطفولية. أخذت العصا السحرية من الصندوق، فقد بدت لي مفيدة، ثم شلحت لحاف السرير من غطائه، الذي

وضعته حول كتفي و ربطت أطرافه بعقدة حول رقبتي. لم تكن عباءتي سوداء مثل كاب ملك السحر، بل كانت برتقالية اللون ومرقطة باللون البني، ووجدتها مناسبة.

وجدت في العلبة التي أخذتها منذ ايام من غرفة المعيشة بعض أعواد الثقاب التي أودعها أبي بداخلها بعد إشعالها، فاستخدمتها لأرسم بأطرافها المتفحمة شاربًا فوق شفتيّ. وقفت بعد ذلك في منتصف الغرفة وأغمضت عينيّ وأخذت أحرك جسدي كالدرويش لانتقل إلى الحالة المزاجية المطلوبة. حين توقفت عن الدوران وجدت نفسي أترنح، بعد أن خطوت على طرف عباءتي، ولم ينقذنى من الهاوية سوى قيامي بحركة مسرحية بذراعيّ في اتجاه السقف، وكأنني استدعي من خلالها شيئًا ما وإن لم أدر كُنهه. فتحت شدقي و أدرت عينيّ في محجريهما، آملا أن يكون ذلك التعبير ملائما للموقف.

خشخش في ركن الغرفة الأرنب الهندي في قفصه من فرط الفزع؛ لعله في يوم من الايام سيستطيع أن يقفز من قبعتى كما فعل أرانب الساحر الذي أُعجبت به أثناء زيارتي الأولى لعرض سيركٍ منذ فترة... ولكنني في الواقع أنشد الآن ما يتعدى ذلك ... قد أُدرج الأرنب كتمهيد خفيف ومشوق للعرض الرئيسي إن سمح الوقت بذلك... فكرت للحظة أن أستعين بمساعد، أن اربط مثلًا جليسة الأطفال المسؤلة عني "ستينِه" - بعد أن ترتدي ثوبًا مطرزًا بالترتر- إلى لوح دائري، ثم أصوب إليها خناجر لتحديد هيكلها، (ولكن من أين لي أن آتي بالثوب المطرز؟) أو أن أضع مدبرة المنزل السيدة "دورفل" في صندوق وأقوم بنشرها إلى جزأين أمام الجميع... هل سأجد صندوقًا يتسع حجمه لإيوائها؟ وإن وجدته، ماذا لو اخطأت أثناء قذف الخناجر أو التقطيع بالمنشار؟ ألن أفقد بذلك الشخصين اللذين أحبهما كثيرًا؟

عند ما قادتني محاولاتي للتخطيط إلى هذه الحارة السد، بدأت اتأرجح بالكرسي، ثم أمسكت بعلبة الثقاب العالمية وأشعلت أحد العيدان. أردت أن أقوم بتجربة أتعرف من خلالها طول المدة التي استطيع أثناءها أن أظل ممسكا بالعود المشتعل دون إصابة أصابعي، ثم إذا بي أقذف به في اللحظة الأخيرة على سطح الطاولة حيث احترق وخلف وراءه بقعة داكنة. أخذت أحرك بإظفر السبابة دهان لون الخشب الذي أصبح طريًا بفعل الحرارة واتحسس في بلادة الأخدود الضئيل الذي نتج عنها. ثم بدأت أدندن نغمة

أغنية "سيكون هناك فائز" التي يتم تشغيلها في افتتاحية برنامج "اوروفنفار"، لأحث نفسي على السمو إلى حالة الإبداع التي كنت اتوق إليها.

كلما نهضت بجسدي كنت انكب مرة أخرى لأنبطح أرضًا، كمن أصيب برصاصة قاتلة، مصدرًا صوت حشرجة. مسرحية اعتدت أداءها ونجحت من خلالها بعض المرات أن أُصيب أقاربي بالفزع. تدحرجت القبعة على الأرض ورقدت أنا محدقًا إلى السقف. زحفت بجسدي إلى الخلف دون أن أتوقف عن الدندنة، واطللت بوجهي خلف الستارة لأنظر من خلال النافذة إلى سماء المساء. ما زالت أعواد الثقاب في يدي. اخرجت أحدها من العلبة وأشعلته، اقتربت أثناء حركتي من الستارة، ها هي شعلة زرقاء صغيرة تتراقص إلى أعلي في النسيج ثم تنطفئ. كان المنظر مفزعًا بقدر ما كان واعدًا، ربما أتمكن من خلاله من أداء عرض شيق. نهضت ووضعت على رأسي القبعة الكبيرة التي كان قد انتهى بها الحال أسفل المنضدة، وطويت أذنيّ تحت حرفها ليحولا دون انزلاقها حتى ذقني. قمت بعد ذلك بضبط عباءتي ووجهت كفي المحلى بالخواتم إلى شعاع الضوء المنبعث من مصباح الحديقة الذي تسلل من خلال شق في الستارة. ها هي الأمور تتطور، حركت اصابعي في الهواء كما يفعل "فرانز لامبرت" عند العزف على آلته الموسيقية؛ عكَس الخاتم المرصع بالألماس الضوء على الحائط و الستارة . تحولت الدندنة المنبعثة مني إلى غناء تزايدت حماسته.

الستائر التي نتج عن نشوب النار بها ذلك الانطباع البديع متوفرة في كل غرف المنزل. استطيع إذن أن اقوم بالعرض في غرفة المعيشة وربما أيضًا في صالون الضيوف حيث سيكون التأثير على الحاضرين مبهرًا. ربما استطيع عن طريق الإشعال عن بعد أن أُضيء أركانًا مختلفة من المنزل في آنٍ واحد بينما يجلس الجمهور في الشرفة الخارجية.

وإذا بي في نشوة الحماسة المتصاعدة أُشعل عود كبريت آخر واقوم بخطوة في اتجاه الستارة لأراقب تسلق ألسنة اللهب عليها ثم أُلقي بالعود خلفي، أشعلت عودًا آخر بينما دندنت تعويذة.

لم تنطفئ النار في هذه المرة، بل أخذت ألسنتها تمتد بالعرض عند الحرف الأعلى للستارة. أخذت أثناء غنائي الذي ارتفع صوته أراقب اتساع رقعة النيران وتغير الوانها بين درجات الأزرق والأصفر والأبيض. انبعثت رائحة الحريق وأخد الدخان يملأ المكان، وإن لم أود أنا أن أثير الانتباه قبل اكتمال التخطيط لمشهد العرض بتفاصيله. أمسكت لذلك بمنفاخ الدراجة وصعدت على الكرسي لاطفئ الشعلة من خلال النفخ، فإذا بها على عكس المتوقع تتوهج وتطقطق. نفخت بهمة أشد، فأخذ العرق يتصبب مني من فرط الإجهاد والحرارة وتزلجت القبعة فوق أُذنيّ المبللتين لتهبط على عينيّ، فلم أعد أرى شيئًا. حاولت تكرارًا رفعها بينما أخذت ألسنة النار تمتد إلى أسفل في رقعةٍ أوسع يصاحبها وميض شديد. اخذ صفير وهدير يملأ رأسي وكأنها خفافيش تتخبط في قنواتي السمعية، وإن ظل الشعور بالإثارة مهيمنًا على إحساسي بالخوف، إذ شعرت أنني بصدد رؤية مشهد غير مسبوق. وإن أخذ الشك حول قدرتي على السيطرة على الموقف يزداد بداخلي بقدر تمدد رقعة النيران. كنت على استعداد للمعركة، هبطت من الكرسي وحاولت أن استحضر من الذاكرة ممارسات وأسلوب عرض الساحر القدير الذي شاهدته في السيرك. كان يجعل الأشياء تظهر وتختفي وفقًا لإرادته، بينما بدا هو مُهيمِن على المشهد. أين هي العصا السحرية الملعونة؟ أخذت أخاطب ألسنة اللهب، استحلفها أن تختفي، ولكنها لم تفعل. فخلعت القبعة من فوق رأسي كما حللت عقدة الكاب - مفرش السرير- من حول رقبتي وطوحته في الهواء كما يفعل مصارعو الثيران، آملا أن احتوي بذلك النيران أو أن أسيطر عليها. حين باءت كل هذه المحاولات بالفشل، انتهجت أسلوب الملاطفة من جديد، أخذت اتوسل إلى النيران أن تتراجع لتتيح لي فرصة التأهب بشكل أكثر تفكرًا وحرصًا، يمكنَني من أن أبدأ العرض من جديد في لحظة ملائمة.

ولكن ألسنة النار كانت أسرع من أفكاري.

انتابني الذعر وتدفقت الدموع إلى عينيّ وسال مخاط أنفي ليمسح الشارب المرسوم حين مسحت بكمي على وجهي.

كنت قد توقفت عن الغناء. هويت أثناء فترة قصيرة من حالة النشوة إلى قاع اليأس. اجتاحني إحساس بضرورة الموت، إن لم يحدث حتفًا في النيران، فبالتأكيد ندمًا على

ما تسببت فيه. تراءت لي في تلك اللحظة إمكانيتان لا ثالث لهما لتعدي الخزي: أن أغلق باب الغرفة من الداخل بالمفتاح وألقي به من النافذة، لكي تبتلعنى ألسنة اللهب بما أنني اهدرت حقي في الحياة؛ وتصورت امي المكروبة تنهار امام قبري. أو أن أغادر الغرفة وأغلقها من الخارج واترك من في المنزل للنيران وأرحل بعيدًا، دون رجعة، إلى مستقبل مجهول. وهنا رأيت هيكلي نحيفًا، يهيم حافيًا مشردًا على طريق زراعي في ملابس مرقعة، لا يحتكم سوى على صرة مربوطة بحرف عصا ركنها على كتفه.

وقفت في مكاني أسعل من وطأة الدخان وارتجف رعبًا ويـأسًا وغضبًا لإدراك ذنبي، متمنيًا أن يأتي من ينجدني من جهنم، أو ربما من استطيع أن أشير إليه بالسبابة لأحمله ذنب ما حدث. لماذا أنا غير قادر على محو ما قمت به؟ كنت منذ لحظات مضت على يقين أن كل ما يدور برأسي يصبح حقيقة. شعرت في هذه اللحظة باهتزاز في نفسي، كما تتحرك شحنة على متن سفينة فتؤدي في النهاية الى غرقها بأكملها. كنت حتى هذه اللحظة على ظن أنه من الممكن تغيير مسار كل شيء، وأنه من الممكن العفو عن كل شيء. كانت لحظة ادراك عدم صحة ذلك اصعب ما مررت به في حياتي، إدراك أن اليقين الذي قامت عليه حياتي حتى تلك اللحظة لم يكن سِوى وهم، بعث في نفسي رعبًا اكبر من خوفي من النيران. فوقفت مشلولًا رغم تصاعد خطورة الموقف.

لوهلة لاح لي شعاع أمل، عندما فكرت أن استغل الموقف الكارثي الذي تسببت أنا في حدوثه لأصبح منقذ الأسرة... أن أحوّل العار إلى بطولة من خلال تشغيل إنذار الحريق وتنبيههم إلى الخطر المحيط بحياتهم، كأنني أول من اكتشف نشوب النار! لن يسأل احد بعد ذلك عن سبب حدوث الحريق.

تصورت نفسي استقبل عند باب المنزل ضابط مكافحة الحرائق في زيه المحلى بالازرار الفضية اللامعة، وأقوده في خطوات سريعة على الدرج في عقلانية وتحكم، بينما يتخبط الآخرون في حالة ذعر. بعد إطفاء الحريق سأجلس مع رجال الاطفاء أعلى سيارة المطافيء ونجوب بها الشوارع إحتفالًا بنجاح المهمة الذي أدت إليه يقظتي. أدى ذلك التصور إلى رسم ابتسامة على وجهي رغم وجوم الموقف. فجأة فتح الباب من خلفي، فتوهجت النيران وسمعت صرخة، التفت لأرى وجه أمي، وتلاقت نظراتنا الفزعة، وإن كانت أسبابها مختلفة.

لا أعرف كيف خرجت من الغرفة المحترقة، لا بد وأن أمي جذبتني خارجها. تنامت بعد ذلك خطوات سريعة مضطربة وأصوات عالية في الطرقة. تم تشكيل جسر من البشر تناقلوا دلي المياه، قام السيد "كوبوكا" بتشغيل طفاية الحريق المثبتة عند درج السلم، وشاهدته يقوم بعملية إنقاذنا.

كنت أنا الشخص الوحيد الذي لم يشارك في عملية إخماد النيران. وقفت أتابع ما يحدث على بعد مسافة بدت لي كأنها تزداد على الرغم من عدم تغيير موقعي. قامت أمي بعد ذلك باستجوابي عما حدث وبتوبيخي بصوت مرتفع، بينما خلعت عني عقد اللؤلؤ، وخلعت انا الخواتم واعطيتها لها. نظرت في عناد إلى الارض واخذت احرك قدمي راسمًا شكل رقم8. أمسكت أمي رأسي بيديها ورفعتها في اتجاهها لتجبرني على النظر إليها. ما كان مني ردًا على ذلك سوى أن أنظر من خلالها وكأن لا وجود لها، وكأنها مجرد هواء ينبعث منه صوت. كان ذلك أسلوب توصلت إليه منذ فترة للتعامل مع المواجهات الحرجة. وددت أن أشرح لأمي النوايا الحسنة التي جعلتني اشعل النار في المنزل، ،أردت أن أعبر عن أسفي الشديد، و لكني لم أنطق بنت شفة. شعرت في الوقت ذاته بالغضب المتصاعد بداخلي لكون الأمر اصبح يتمحور حول فشل محاولتي، ولا يعني أحد ما أردت أنا أن أحققه. أليس ذلك في الحقيقة هو ما يهم؟

ظللت بعد ذلك كلما وضعت رأسي على مقعد الدراسة في الفصل، ودسست أنفي في مفصل ذراعي أشم رائحة الدخان المنبعث من كُم السترة على الرغم أنه كان قد تم غسلها مرارًا، فكانت تحضرني بذلك كل مرة حياتي السابقة التي كان فيها كل شيء ممكن.

هل من شيء

© 2017 Litrix.de

جددت غرفتي إثر الحريق الذي نشب فيها أثناء محاولتي تنفيذ حيلة سحرية باءت بالفشل. في أثناء أعمال التجديد تم إخلائي من الغرفة التي صممتها أُمي مستعينة بمهندس ديكور، و نتج عن تعاونهما تحولت غرفة الأطفال إلى ما يسمى بغرفة الشباب؛ ضاعف من شعوري بالغربة فيها حين دخلتها النظام والترتيب اللذان سادا، بعد عهد غرفتي الطويل بالفوضى. اما أمي فأُصابها الاحباط لعدم فرحتي بغرفتي، بينما شعرت أنا أنني زائر، لم يدر بالفعل من هو صاحب الغرفة؛ بالتأكيد لم يكن أنا. قبل سنوات كنت قد رسمت على حوائط الغرفة في رسومات بأقلام فلومستر وألوان الشمع. كانت خزانة الملابس دوما مفتوحة منذ أن انخلعت المفصلة عن أحد أبوابها، فاستقل الباب بذاته في حركته التي صاحبها صوت صرير وطقطقة؛ وكأنها موسيقى تصويرية يصدرها شخص آخر، صاحبني في الغرفة. كنت قد حاولت يومًا أن انتقل من كرسي المكتب إلى السرير من خلال التعلق بباب الخزانة، وهو ما تمكنت منه بالفعل، كنت قد وضعت لنفسي شرط عدم ملامسة الأرض أثناء ذلك؛ وإن يبدو أن الخزانة لم تكن على دراية بذلك... تكومت على أرض الغرفة أجزاء وملحقات لعب متعلقة برياضات لم أمارسها في يوم من الايام، بينما انتهى قفص الأرنب الهندي في إحدى زوايا الغرفة، ورقدت العلبة المخصصة للسلحفاة في زاوية أخرى، وهو مانتج عنه تبعثر نشارة الخشب والتبن المشبع بالبول واوراق الخس الذابلة في أرجاء الغرفة... أما نموذج سفينة الفضاء (ساتورن) المحطم فانتهى به الأمر على حافة الشباك، وقد أحضره لي والدايّ من رحلة إلى أمريكا، كان قد أصابه عطب عندما حاولت يومًا أن أثبت عليه الأرنب الهندي بواسطة رباط مطاطي ... كان الغرض من ذلك القيام بتجربة عملية حية بإطلاق السفينة في فضاء الغرفة في مسار مكوكي مفتعل بربطها بحبل غسيل، أحركه أنا في حركة دائرية سريعة؛ وكان الهدف هو اختبار قدرة رائدي الفضاء على احتمال القوة المركزية الطاردة . فكرت في البداية أن اوظف السلحفاة لذلك الغرض، نظرا لأن الطبيعة أنعمت عليها بالكسوة الواقية الملائمة لرحلة الفضاء. ما كان على المرء سوى أن يستكملها من خلال نصف كرة (بينج بونج) يتم تثبيتها إلى الدرع عند الطرف الأمامي بواسطة مادة (أوهو) اللاصقة؛ ولكن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن، اذ تعرضت السلحفاة لإصابة نتج عنها عجز، عندما تهيأ للكلب أنها عظمة، فانقض عليها - من حسن حظها أنني رأيت ذلك وأنقذتها من أنيابه

قبل أن يفتك بها - وإن كان قد الحق بدرعها فعلًا ثُقبًا، أدخلها في دور نقاهة، حال دون أن تقوم بدور رائد الفضاء. وهذا ما جعلني استعين بصديقي الأرنب، الذي سرعان ما أحبط أمالي هو ايضًا، إذ أخذ يتخبط حين حاولت ربطه إلى السفينة الفضائية، فأدى ذلك إلى إصابة العلم الامريكي بخدوش، كما أخذ يصرصر في نبرة مرتفعة استدعت انتباه الجليسة المقيمة المسؤلة عني (ستينِه) التي جاءت إلى الغرفة ووضعت نهاية للتجربة بِرمَتها.

كنت أُفضِل أن تظل غرفتي على ما كانت عليه، بما فيها من آثار الحريق، بينما تم على الفور إزالة ما كان. كانت الغرفة تقع في نهاية طرقة طويلة... و طالما كان الباب مغلقًا، كما هو الآن، لم تكن لي دراية بما يحدث في أرجاء البيت الأخرى. كان يراودني أحيانا هاجس أنهم قد ينسون وجودي هنا، فينتابني الخوف.

كانت أمي، وأيضًا (ستينا)، خارج المنزل في ذلك اليوم؛ ولكني كنت أعرف أن أبي في المنزل. فقد مرت بجانبي، وأنا في طريقي إلى البيت عائدًا من عند صديقي (هولجر)، قافلة سيارات المراسم التي يتنقل بها. في البيت اختفى أبي على الفور في غرفته، إذ لم أجد له أثرًا عند دخولي. شعرت بالملل في غرفتي الجديرة بالتصوير في كتالوجات الديكور، نظرت إلى الكتاب الذي كانت أمي تقرأ لي منه في الأمسيات الأخيرة قبل خلودي إلى النوم. شعرت بحاجة إلى تلك الطقوس. كان أبي عادة مشغولًا بأمور مهمة، فبدى لي أنه من غير اللائق أن أطلب منه أن يقرأ لي. انتعلت بعد فترة الشبشب المنزلي الازرق، وتأبطت الكتاب من باب التأهب لأي فرصة سانحة، وخرجت من غرفتي. ربما يخدمنى الحظ، وألقاه صدفة في أحد أركان المنزل، وحينذاك استطيع أن اقرر إن كنت سأطلب منه أن يقرأ لي أم لا. ذهبت إلى المطبخ، ثم تسكعت في الردهة الخالية قبل أن أتجه نحو أرض الوالد.

كان بابه كالعادة مغلق. يقع وراءه جناح السكن الخاص به، حجرتان في الدور العلوي، صغيرتان ومبطنتان بالخشب، حجرة المكتب وغرفة النوم. كان هذا الجزء من البيت أقل ألفة لي من الأجزاء الأخرى، له مدخل منفصل من الجانب الأيسر بالمبنى، يستطيع أبي من خلاله أن يغادر المنزل، ويعود إليه دون أن يدري به أحد. قلما كنت أدخل هذه الحجرات على الرغم من فضولي ، فكنت أحيانا أتسلل اثناء غياب أبي لأجلس في مقعد

ضغطت أذني في مكتبه، وأحركه حركة دائرية حتى اشعر بالدوار. حرص على الباب لأتبين ما يحدث خلفه، كان ذلك غير مجدٍ نظرًا لكونه باب غرفة تقع أمام حجرة المكتب، التي كانت عادة مغلقة أيضًا. ضغطت ببطء على مقبض الباب وفتحته بعض الشيء، كان الباب الثاني بالفعل مغلقًا، وإن اكدت لي رائحة دخان الغليون التي تسربت حتى هذه النقطة وجود أبي. تسمرت لوهلة في مكاني، مازال بإمكاني التراجع، ولكن الإغراء كان لا يقاوم. دخلت في حرص واغلقت الباب خلفي في سكون لأعبر الممر المعتم الى عالم أبي. وقفت أتصنت وأتشمم في الظلام، تناهى إلي من خلال الباب المغلق صوت شخير... تحسست طريقي حتى الباب الثاني وضغطت أذني عليه، فسمعته أكثر وضوحًا؛ جمعت كل ما لدي من شجاعة وطرقت في تردد على الباب، بحيث يبدو مصدر الطرق مبهمًا، كما يفعل من يُمعِن النظر إلى شخص، ثم يدير وجهه في اللحظة التي يبادله فيها ذلك الشخص النظر. كان لدي متسع من الوقت يتيح لي الاختفاء حتى اللحظة التي سيفتح فيها الباب... لم يبدر أي رد فعل على طرقي للباب.

في النهاية ضغطت في حرص شديد على المقبض لأفتح الباب ووجهت نظري في اتجاه المكتب، حيث رأيت أبي جالسًا إليه، كان رأسه مائلًا إلى الجنب ومحنيًا فوق صدره، يعلو ويهبط مع إيقاع شخيره المنتظم. انزلقت نظارته إلى الاسفل وارتكزت عند حرف أنفه. وقفت لوهلة في فتحة الباب انظر إليه. تراكمت فوق مكتبه الملفات التي كانت تودع في الحقيبة السميكة التي يحملها أحد معاونيه خلفه. فيما عدا ذلك طفاية وكوب به سائل بني سبحت فيه مكعبات الثلج التي كادت تذوب، كنت أود أن أمصها لو لم تكن في ذلك السائل المقزز. دخلت الغرفة في حرص وجلست على الأريكة (شسترفيلد) وأخذت أنظر إلى أبي. كان علَي أن أقاوم رغبة دفعتني للاقتراب منه لأرى إن كانت تلك الشعرة التي ظهرت من فتحة أنفه منذ ايام واستطعت تأملها دون أن يلحظني مازالت في محلها. كان بإمكاني أن أجذبها ثم اختفي خلف كرسي المكتب. كان أيضًا بإمكاني أن أدفع الكرسي في حركة دائرية حتى يستيقظ، لأرى إن كان سيشعر بالدوار أثناء النوم. لم أفعل أي شيء من كل ذلك، بل ظللت جالسًا وفتحت كتابي وأخذت اقرأ. كان لصوت الشخير المنتظم أثر مخدر علّي، فبدأت السطور

تتلاشى أمام عينيّ. خطر ببالي أن التمدد على الأريكة حتمًا سيكون ممتعًا. ها هو يرقد على ذراعها، ذلك الغطاء المصنّع من صوف الجمل ذو الملمس الناعم المستفز، الذي تحسسته كلما دخلت خلسةً إلى غرفة المكتب، وإن لم اجرؤ قط على فرده. أردت أن أمد يدي لأمسك به، في اللحظة التي استيقظ فيها أبي فزِعًا، وفتح عينيه، وإن بدى لي أنه لم يميز شيئًا بنظره . "هفا إر دِت؟" هكذا جاء سؤاله باللغة النرويجية في الفراغ: هل من شيء؟ ثم لاحظ وجودي وبدا عليه التعجب. شعرت بدافع للهروب. دار ببالي انني أخطأت خطأً فادحًا وأنني تعديت حدودي باقتحامي منطقة لا انتمي إليها ولم يكن لي حق دخولها. غمرتني حمرة الخجل.

قال موجهًا سؤاله لي: نعم؟ لم أدر بمَ أجيب، فبقيت صامتًا. نظر كل منا إلى الآخر لوهلة، ثم إذا بي – دون أن أدري مصدر الشجاعة التي حلت علّي- اقول في تردد: هل ممكن أن تقرأ لي؟ قطب جبينه، وكأن عليه أن يجتهد ليفهم ما قلته. ثم إذا به ينهض دون أن ينطق بكلمة ويغادر الغرفة. وددت أن تبتلعني الأرض من فرط الخجل، أيقنت أنني ارتكبت فعلًا خطأً لا يمكن أن يُغتفر. وبما أنني لم أعد في تلك اللحظة ادري كيف أنهض لأغادر المكان، ولشعوري أنني وصلت إلى نقطة اللارجعة، ظللت قابعًا في مكاني، اتحسس زرًا من أزار الأريكة. شعرت بنقطة عرق تسيل من إبطي الأيسر تحت سترتي حتى زمام البنطال. مر وقت طويل حتى عاد أبي، كنت قد فقدت الأمل. لكنه جاء ممسكًا كأس نبيذ أحمر بيد وفي يده الأخرى كوبًا من الحليب. وضع كليهما على المنضدة أمام الأريكة وجلس بجانبي. نظر إليّ للحظة وكأنه يحاول أن يتذكر من أكون. ثم بدا لي أنه تذكرني، فسألني عن الصفحة التي توقفت عندها.. أما أنا فحدقت أمامي. كان عليه أن يكرر السؤال، لكي أشير إلى المقطع الذي توقفت عنده. أخذ هو يقرأ، ولكن في صمت. يبدو أن القصة أعجبته، اذ رأيته يبتسم. ولكن لم يكن هذا هو الغرض من الأمر. فأخذت أفكر في طريقة استطيع من خلالها أن اوجه انتباهه لوجودي.

كان عليّ يومًا أثناء العطلة الصيفية السابقة أن أوقظ الوالد لكي يتناول معنا وجبة الطعام، بعد أن غلبه النوم وهو مستلقٍ في مقعده. وقفت أمامه في حيرة بعد أن حاولت عبثًا أن أصل إليه بكلماتي ولكنه لم يسمعني. فإذا بي - دون أن ادري دافعي لذلك –

اوجه له ركلة قوية بقدمي في ساقه الأمامية، جعلته يصرخ من الألم، وترتب عليها صفعة على وجهي، الوحيدة التي حصلت عليها في حياتي. ها أنا الآن ابحث عن وسيلة اكثر تحضرًا لجذب انتباهه، ثم إذا به فجأة يضع ذراعه على كتفي ويبدأ القراءة. كدت لا أصدق ما حدث. قرأ لفترة، ثم نظر إليّ ووجه إليّ بعض الأسئلة عن الرجل المِروَحي؛ ثم أخذ يضحك عندما أجبت عليها شارحًا له سياق الأمور.

دنوت منه بحرص، ثم وضعت رأسي أولا على كتفه، ثم في حجره، وأخذت انظر إلى خديه سميكي البشرة ومنابت شعر ذقنه الداكنة والبيضاء، بينما راودتني رغبة في ملامستها بيدي. ولكني لم أخاطر بتدمير اللحظة الثمينة. بدت لي الثنايا والخطوط الدقيقة حول عينيه وكأنها في تعداد الملايين. رأيت عند تقليبه صفحة الكتاب أطراف أصابعه الصفراء من أثر التدخين... النظارة التي ادرجت في أطراف عدساتها السفلى شبابيك صغيرة. تمركزت بحيث استطيع أن أرى من خلال تغيير منظوري تشويها بصرية، بدا من خلالها حجم عينيه مختلفًا، تلك العينين اللتين لم اتعرف بعد لونهما. كانت هذه اللحظة المواتية للتعرف عليه، لو لم يكن ذلك الاحساس المريح بالثقل قد سيطر على جسدي. تحول جلد أنفه بمساماته الواسعة إلى منظر أرض بركانية. كانت ذبذبات صوته تتردد في نقطة ما بداخل بطني، كان رنينه احلى من صوت (با) في (بونانزا). لم أود أن أفقد أيًا من ذلك كله. وبينما كنت افكر في ذلك غلبني النعاس.

© 2017 Litrix.de